مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 03 السنة 2021 ص 269 - 285

تاريخ الإرسال: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/10/06
تاريخ النشر: 2021/06/01

نظرية القراءة وتلقي النقد الجزائري المعاصر لها

The theory of reading and receiving contemporary Algerian criticism for it

عبد الحميد بيقة
مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنغست
المركز الجامعي تامنغست abdelhamidbiga@gmail.com
abdelhamidbiga@cu-tamanrasset.dz

الملخص:

انتقل اهتمام الدارسين للنصوص الأدبية من خارج النص إلى داخله، وصولا إلى القارئ بعد أن غيب في المناهج والمقاربات السابقة، وقد نتج عن ذلك بداية عهد نظريات ما بعد البنيوية، ومنها نظريات القراءة والتلقي.

سنحاول في دراستنا هذه بالاعتماد على الوصف والتحليل تسليط الضوء على أسس نظرية القراءة ومرتكزاتها، محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف تلقى النقد الجزائري نظرية القراءة ؟

الكلمات المفتاحية: القراءة؛ أسس النظرية؛ النقد الجزائري؛ التأسيس؛ الممارسة.

Abstract:

The interest of scholars in literary texts moved frome outside the text to inside the text, until it came to the reader after he was absent in the previous approaches, as a result we noticed the begining of the era of post-structural theories including theories of reading and recieving .

In this study based on description and analysis, we try to focus on the foundations of reading theory, trying to answer the following problem :
How did Algerian criticism recieve the reading theory ?
Key words: reading , the foundation of theory, Algerian criticism, founding, practice..

المؤلف المرسل: عبد الحميد بيقة، الإيميل: ABDELHAMIDBIGA@GMAIL.COM

1.مقدمة:

شغف الإنسان منذ القديم بالاطلاع على ما يحيط به، وكان ولا يزال يتطلع لاستكناه الموجودات من حوله محاولا فك رموزها وشفراتها والتعرف إلى علاماتها، مما يدفعنا إلى القول بأن دافع القراءة كان لازما للعنصر البشري منذ القدم؛ فالقراءة في جوهرها بدأت متدرجة لتصل إلى مرحلة النضج التي هي عليها الآن، وهذا دأب كل مهارة يكتسبها الإنسان، ثم يطورها؛ إذ تبتدأ بسيطة متماهية مع كل موجود ومتناول، لتتطور مع مرور الزمن بفعل تنامي حاجة مستعمليها لاستجلاء آفاقها بغية خدمتهم والرقي بهم.

في هذه الورقة البحثية سنحاول مساءلة بعض المحطات التاريخية من النقد الغربي والجزائري حول فعل القراءة وكيفية التوسل به للولوج إلى عمق النصوص والآثار الأدبية، مركزين بعض الشيء على جهود الناقد الجزائري في مفهومه للقراءة ومقاربته لها في ظل ما بات يعرف حديثا بـ (نظرية القراءة).

2 تعريف القراءة لغة واصطلاحا:

تعد القراءة فعلا فطريا يمارسه الإنسان بدافع الرغبة الجامحة لديه للاطلاع والمعرفة، وقد شغلت حيزا كبيرا من الدراسات الأكاديمية، وتعددت مستوياتها وتباينت من قارئ إلى آخر، بسبب تعدد الخلفية الثقافية والفكرية لكل قارئ، فهذه الخلفية هي

التي تحدد خارطة الطريق لدى القارئ لمساءلة أي نص وقراءته والتعامل مع مضامينه، بغية توليد معان أخرى وإنتاج قراءات متعددة للنص الواحد؛ ولما كان الأمر كذلك، رأينا أنه من الواجب تقديم بعض التعاريف للقراءة وكيفيات تصنيفها من رحم اللغة العربية، ومن عموم ما اصطلح عليه موظفو مصطلح (القراءة)

القراءة لغة :

يورد مجمع اللغة العربية واضع كتاب (المعجم الوسيط) دلالتين متلازمتين للقراءة، يقول: "قرأ الكتاب . قراءةً، وقرآناً: تتبع كلماته نظر ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها، وقد سميت حديثا بالقراءة الصامتة، والآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر وحفظ، فهو قارئ (ج) قرّاء"[1]، فقد ارتبط المصطلح بالتتبع والنطق؛ وبالانتقال إلى صاحب (لسان العرب) ابن منظور نجده يقول: "قرأ: القرآن، التنزيلُ العزيزُ، وآثما قدم على ما هو أبسط منه لسر فيه، قرأه، تقَروه، قرءًا، وقراءةً، وقرآناً، وقرأت الشيء قرآنا بمعنى وضممت بعضه إلى بعض"[2]، مركزا بتتبع اشتقاقاته على معنى الارتباط والضم. ويعرفها الفيروز آبادي في (القاموس المحيط) بقوله: "القرآن: التنزيل، قرأه كعنصر، ومنعه، قرْأً وقراءةً وقرآناً، وهو قارئ من قراءة وقرّاء وقارئين: قراه ، كإقترأهُ ، وأقْرأْ ته"[3].

وهناك العديد من التعريفات اللغوية للقراءة ولمادة (قرأ) في بطون المعاجم والقواميس اللغوية، مما لا يتسع المجال في هاته العجالة لسرده، وهو ما يدفعنا إلى الانتقال بعد هذا إلى التعاريف الاصطلاحية التي أوردها النقاد، وقالوا بها في توظيفهم لمصطلح (قراءة).

حدد رشيد بن مالك مميزات عملية للقراءة من خلال تحديده لمميزات القارئ في قوله: هي "تلك العملية التي تبرز معنى ما من معاني النص بواسطة عدد من المفاهيم، وبناء على اختيار مستوى معين، يتم اختراق النص على أساسه، لا يعمل

القارئ كلاقط سلبي للرسالة، وإنما يشارك الكاتب في إنتاج النص متجها إلى ربط المعاني بعضها ببعض، وتبيان أثرها العام والخاص، وتنتهي القراءة السلبية باستعمال دلالة واضحة في النص، ما علينا إلا أن ننسخها بميكانيزمات تلقينها في المدرسة، لتبدأ القراءة الدينامية إنتاج دلالة تدوم بعلاقات تقيمها وتبنيها في النص"[4]؛ وهكذا نلاحظ واعتمادا على ما سبق، أن القراءة ما هي إلا تفاعلات ذهنية واختمارات مفاهيمية، تعتمل في ذهن القارئ، والذي يبثها تحليلا وممارسة تساهم في إعادة تشكيل النص.

ويشير تعريف آخر للقراءة إلى اشتمالها على منظورين متباينين يحددهما عدد القراء بين القارئ الفرد والقراء المجتمعين، أو ما يطلق عليه (التنوع الفردي)، فالقراءة حسب هذا التعريف هي "عملية طبيعية يبدو للوهلة الأولى، أن ليس ثمة شيء يقال عنها، فقد عرضت مسألة القراءة في الدراسات الأدبية بمنظورين متعارضين، يعنى المنظور الأول بالقراء وتنوعهم الاجتماعي والتاريخي أو الفردي، ويتعلق المنظور الثاني بصورة القارئ، كما تمثلت نصوص معينة القارئ بوصفه شخصية (charachter) أو بوصفه مرويّاً عليه، وعلى أي حال هناك منطقة غير مستكشفة بين المنظورين، إنها ميدان نطق القرّاء، ورغم أنه غير متمثل في النص، فإنه مع ذلك سابق للتنوع الفردي"[5].

وإذا ما أردنا تتبع جذور القراءة والاهتمام بها من بدايتها إلى أن أصبحت نظرية لها ضوابطها ولها آلياتها التي تعتمد عليها، فلابد لنا من الرجوع إلى بداياتها وجذورها الغربية.

3-الجذور التاريخية لنظرية القراءة:

يقال بأن أصعب الأمور بداياتها، ذلك أن البادئ بأي أمر إنما يضع لبنة لم تستند إلى أي لبنات قبلها، ولم تقم على أي دعامة سابقة، مما يجعله منفردا في

صنعته ومجاله، ولعل هذا ما ينطبق على الغربيين القدماء، خاصة ما تعلق بالحضارة اليونانية التي اجتهد منظروها للتأسيس للفعل الأدبي والنقدي، انطلاقا من اجتهاداتهم التي دفعتهم إليها حاجتهم للتعامل مع ما يحيط بهم، والجدير بالذكر أن النقد الغربي قد مر بعدة مراحل أساسية؛ بداية بمرحلة الذوق والانطباع، وصولا إلى مرحلة ما بعد الحداثة، والتي جاءت بالعديد من المفاهيم، ومن بينها نظرية القراءة التي أعادت للقارئ مكانته في معادلة تناول الأثر الأدبي، دون أن نغفل ما كان بين الذوق والحداثة من مراحل ومناهج جاءت تناقض بعضها بعضا، في رحلة طويلة لإثبات الذات النقدية في تعاملها مع النص الأدبي.

وعندما نتكلم عن الممارسة النقدية عند الغربيين القدامى، يتبادر إلى ذهننا (أرسطو) الذي يلقبه الكثير من المؤرخين بالأب الروحي للنقد اليوناني، وفي ذلك يقول محمد رجب: "وبحق فهو المعلم الأول، ولولا أرسطو ما نزلت الفلسفة إلى الأرض بعد أن رفعها سقراط وتلميذه أفلاطون إلى السماء، في عالم مثالي ليس للبشر فيه أمل"[6]، وقد تحدث أرسطو عن جمالية التلقي في مؤلفاته، وفي ذلك يقول محمود عباس: "ربما كان أرسطو في تاريخ الحركة النقدية من أبرز رواد الفكر اليوناني اهتماما بفلسفة التلقي أو مفهوم الجمال في استقبال النص ، ففي رصيده الفكري والنقدي يتمثل لنا اهتمامه بهذه المسألة وكأنها محور هام يستقطب تفكيره ويستجمع فلسفته في الحديث عن أجناس الأدب"[7].

وقد اهتم أرسطو بجمالية التلقي، خصوصا تلقي الأعمال والنصوص الأدبية التي كانت آنذاك تعنى بالخطابة والمأساة والملهاة، إذ يرى أن لا وجود للمأساة إلا بما تحدثه في متلقيها من أثر، وما تخلفه فيه من انطباع، وفي ذلك يقول أرسطو: " فالمأساة إذاً، محاكاة لفعل جاد تام في ذاته، له طول معين في لغة ممتعة، لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزيين، كل نوع منها يمكن أن يرد على

انفراد في أجزاء المسرحية، وتتم هذه المحاكاة في شكل درامي لا في شكل سردي، وبأحداث تثير الشفقة والخوف، وبذلك يحدث التطهير"[8].

4- روافد نظرية القراءة عند الغرب:

كانت العلاقة بين النقد والفلسفة قائمة ومتوطدة ولا زالت، فلقد ظلت المفاهيم الفلسفية التي صدرت عن اليونانيين القدامى ترمي بظلالها على كل الأحكام النقدية الغربية، وفي ذلك يقول أحد النقاد: "إن نقد ما بعد البنيوية هو ممارسة فلسفية بحتة"[9]، وهذا القول يحذو بنا لإبراز أن جل المناهج والنظريات الغربية التي تبنت الأفكار والتحليلات النقدية، سواء كانت سياقيا أم نسقيا، إنما كانت تصدر عن معين فلسفي لا ينضب، متخذة من الجدل وتوليد الأفكار مطية للاختلاف الفكري، وبالتالي تواصل البناء والهدم، فكلما تداعى بناء، إلا وقام على أنقاضه بناء آخر.

وفي سياق الحديث عن إرهاصات نظرية القراءة والتي أعطت مكانة خاصة للقارئ أو المتلقي بعدّه منتجا ثان للنص، فإننا لا يمكن أن نغفل الدور الذي كان (للفلسفة الظاهراتية)* في ظهور نظرية القراءة، وهي فلسفة بحسب منظرها (هوسرل)* تسعى إلى رد الاعتبار للذات، ليتأكد أن "الفلسفة الظاهراتية فلسفة وصفية، تهتم بالعلاقات الجوهرية الماهوية، فهي فلسفة تعمل بثبات وأمان كاملين، وهي علم دقيق ويقيني، وتجعل من الماهية الخالصة مصدرها [الرئيس]، وتستبعد كل المصادر الأخرى للمعلومات[10]، وقد استمد معظم رواد نظرية القراءة والتلقي مسألة الاهتمام بالذات من مفاهيم الفلسفة الظاهراتية، "وبذلك صارت الذات المتلقية قادرة على إعادة إنتاج النص بواسطة فعل الفهم والإدراك، ومتمكنة بذلك من تكثير المعنى وتشقيق وجوه لانهائية"[11].

لم تكتمل نظرية القراءة –بشكلها الحالي– إلا بعد أن سبقتها عدة تيارات فكرية كبرى، وذلك حسب ما أورده (روبرت سي هولب) الذي حصرها في خمسة تيارات أساسية[12]، هي:

1. الشكلانية الروسية
2. بنيوية براغ
3. ظاهراتية رومان إنغاردن
4. تأويلية هانز جورج جادامير
5. سيسيولوجيا الأدب

أ/– مدرسة برلين:

استلهمت مدرسة برلين أفكارها النقدية من الاتجاه الماركسي*، والذي يجعل من المجتمع مركزا لكل انطلاقاته، إذ أضافت المجتمع إلى ثلاثية العملية الإبداعية (المؤلف – النص – القارئ)، وبذلك يصبح تلقي الأعمال وقراءتها عملية فنية واجتماعية في الوقت نفسه، ولم يعد كاف في منظور مدرسة برلين أن نقف فقط على العلاقة بين النص وقارئه بعدّه مؤلفا ثان للنص، بل لابد وأن تمتد أطراف هاته العلاقة لتشمل عوامل اجتماعية خارجية، فهي تنظر إلى الكتاب بعدّه مادة استهلاكية تتحكم فيها عوامل اجتماعية خارجية كدور النشر والمؤسسات الاجتماعية والعلمية وغيرها[13].

ثانيا – مدرسة كونستانس:

قد يدفعنا الحديث عن جهود مدرسة كونستانس في إرساء دعائم جديدة للعلاقة بين أقطاب العملية الإبداعية إلى تركيز الحديث بعض الشيء على علمين بارزين من أعلام نظرية القراءة والتلقي هما: هانز روبرت ياوس ووولفغانغ ايزر، ففي ما يتعلق بياوس فهو من الرواد الأوائل الذين نظروا نظرة تمحيص وغيرة على

الأدب والثقافة في ألمانيا، فكان يحز في نفسه تحول العلماء والنقاد في بلده إلى مجرد مرآة عاكسة لما تقول به المناهج الأخرى مثل الاجتماعية والنفسية وغيرهما، وإهمالهم للبعد التاريخي للأدب، والذي يعد بمثابة المرساة التي ترسوا بها كل محطات الفكر والثقافة والأدب، كما أن إضفاء صفة التاريخية على الأدب تنير جوانب خفية ومظلمة من تراث الأمم والشعوب، وتربط حلقاته في انسيابية تاريخية تعزز أواصر اللحمة والارتباط بين الحاضر والماضي، وتؤسس لبناء المستقبل.

لقد أراد ياوس أن يضع الأدب في سياق تاريخي، محاولا أن يستفيد مما قدمه غادامير، " حين أراد الكشف عن الوعي التاريخي المتشكل باللغة ، معتقدا أن الفهم لا يمكن أن يتم إلا من خلال التاريخ "[14].

وقد قامت طريقة ياوس في الإنتاج والتأليف على الحوار، فلم يكن يأخذ بأقوال وآراء من سبقوه على أنها مسلمات لا تناقش، بل كان يُعمل الفكر لتقصي الحقائق، ويشغل العقل للموازنة والتمحيص والاستنتاج، وقد أفاد في ذلك كله من الروافد الفكرية وحواضنها التي سبقته من أمثال الظاهراتية كما هي عند كل من ريكور وإنغاردن وهوسيرل، والهيغلية والهرمينوطيقا والماركسية، والأبحاث الشكلانية لجماعة براغ مع موكاروفسكي وفوديكا ومختلف البنيويات[15].

وندلف في الحديث عن نظرية القراءة والتلقي في حاضنتها المتمثلة في مدرسة كونستانس للحديث عن قطب ثان من أقطاب النظرية، ألا وهو وولفغانغ إيزر، الذي حاول أن يستل من معين التيارات النقدية الأخرى التي سبقت نظرية القراءة زادا مخالفا يستقي من الظاهراتية تحديدا معظم مفاهيمه الإجرائية، ويتمحور حول الفكرة عدم الاكتفاء بالنص الأدبي، إذ " لا يجب أن نصب اهتمامنا على النص الأدبي فقط ، بل أيضا بمعيار مساو بالأفعال المتضمنة داخل الاستجابة الجمالية لهذا النص"[16]؛ وقد أسس إيزر للعديد من المفاهيم الإجرائية التي تضمن

عملية القراءة، وهي مفاهيم تلخص نظرة إيزر لما يجب أن تكون عليه نظرية القراءة من خلال العلاقة الحاصلة بين النص والقارئ، وأهم مفهوم سنحاول التركيز عليه نظرا لأهميته إذ عدّه إيزر أساس كل مقولاته المفاهيمية وهو: القارئ الضمني.

وفي هذا المفهوم نقف عند إشارة من إيزر إلى بداية العملية التأليفية من طرف المبدع أو الكاتب، والذي يفترض أن يضع في تصوره قارئا يختبئ ضمن نسيج النص، يوجه العملية الإبداعية، فتخرج لغة النص ونسيجه متلمسة لهذا القارئ الذي لا يظهر علنا، وإنما يحرك خيوط النص بشكل يجعل القارئ في مواجهة بين قراءتين: قراءة ذاتية للمتلقي، وقراءة مرتدة من داخل النص، تفرض على القارئ بين الفينة والأخرى إعادة ترتيب أفكاره وتحديد أولوياته، وقد رأى (إيزر) أن هذا المصطلح يتولد عن بنية النص، ويتعدد بتعدد المتلقين، يقول:" هو بنية النص، تتوقع حضور متلق دون أن تحدده بالضرورة، إن هذا المفهوم يضع نية مسبقة للدور الذي ينبغي أن يتبناه كل متلق على حدى"[17].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بعد الاستعراض السابق لمفاهيم نظرية القراءة في مظانها هو: كيف تلقى النقاد الجزائريون المحدثون هذه النظرية؟ وكيف أسسوا لها؟ وانتقلوا بها إلى الممارسة والتطبيق؟

الجهود الجزائرية المعاصرة في التأسيس لنظرية القراءة وممارستها:

لقد كان لجهود النقاد الجزائريين دور كبير في استجلاء العديد من القضايا النقدية التي بعثت من رحم الممارسة الإنسانية الإبداعية لمختلف أركان الفعل النقدي، ولم تشذ القراءة بكل ما اعتراها من تناوشات مفاهيمية وما شابها من تداوليات مصطلحية عن التناول النقدي الجزائري؛ حيث حظيت النظريات التي تناولت القراءة بالعناية من قبل الباحثين الجزائريين، وابتدروها بالتمحيص والدراسة، فكانوا في ذلك بين منظر وممارس لما جاءت به هاته النظريات من آليات إجرائية،

ومازج بينهما؛ ولعلنا في هاته المساحة التحليلية لا نستطيع أن نأتي على ذكر معظم الفاعلين في هذا المجال، لكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، لذلك سنحاول أن نتحدث عن بعض هؤلاء الباحثين، ونقف على شيء من جهودهم النقدية، سواء كانت تأسيسا وتنظيرا أم ممارسة وتطبيقا.

أولا : التأسيس والتنظير:

من المجهودات التي بذلت في هذا الشأن ما قامت به الباحثة غنيمة كولوقلي في مؤلفها (نظرية التلقي: خلفياتها الإبستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال)، حيث تحدثت عن روافد نظرية التلقي، وأشارت إلى الهرمينوطيقا وكيف كانت دلالتها الدينية واللاهوتية ومدى إسهامها في بناء اللبنات الأساسية لجماليات التلقي، وفي ذلك تقول في توطئة الفصل الأول من كتابها:" تعتبر الهرمينوطيقا من أهم التيارات المهيمنة في الفلسفة المعاصرة، فهي مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية"[18]؛ ثم تحدثت عن الظاهراتية ودورها في تأسيس فكر القراءة والتلقي، وكيف تمت التواصلية التي تعتبر سنة في الفعل الإبداعي ومن ثم عرجت على التأويلية[19]، لتصل الناقدة بعد ذلك في الفصل الثاني إلى قراءة في بعض مقولات هانز روبرت ياوس، وفيه أشارت إلى تلازمية التاريخ التي نادى بها ياوس ودعوته إلى دراسة التاريخ وعلاقته بالأدب، وبينت أهمية ما رمى إليه هو وإيزر، وما بذلاه من جهود في هذا المجال، وفي ذلك تقول:" تتفرع هذه المدرسة إلى منهجين، يتميز أحدهما عن الآخر، فبينما يعنى الأول بجمالية التلقي التي يمثلها هانز روبرت ياوس والثاني وولفغانغ إيزر الذي يهتم بجانب التأثير في التفاعل الذي يحدث بين القارئ والنص، وذلك عن طريق تأسيسه لفرضية (القارئ الضمني) التي تطغى على دراسة الجمالية[20]

وقد توصلت الباحثة غنيمة كولوقلي إلى نتائج نذكر بعضها:

*- على الرغم من أهمية النقلة التي أحدثها ياوس في اتجاهه نحو تاريخ الأدب والمتلقي، إلا أن جماليته ألحق بها عجز وقصور بسبب التاريخانية التي ضيعت مختلف مفاهيمه حول التلقي، فهي أهم المخاطر التي تحيط بها.

*- العمل الأدبي يتطلب نظرية تعالجه بشكل أكثر جدية ومنطقية تلائم الواقع أكثر، ولا تلغي أي عنصر من عناصره (المؤلف، النص والقارئ)، فالعمل الأدبي نسيج متكامل لا يمكن إلغاء دور المؤلف وظروفه.

*- مهما اختلفت رؤية المنظرين الكبار لجماليات التلقي من أمثال ياوس وإيزر وغيرهم، إلا أننا نجدهم يشتركون في أبرز معطيات التلقي وهي أن المعنى وبناءه يتولدان عن التفاعل مع نص القارئ الذي يجيء إلى العمل بتوقعات مستمدة من أنه قد تعلم وظائف الأدب ولو بصورة مبسطة، فالقارئ هو إلى حد ما المبدع المشارك لا للنص فقط، وإنما لدلالته وقيمته وأهميته، وبالتالي أسهمت جمالية التلقي في تشييد ذات مبدعة على المستوى النقدي.

والملاحظ أن الباحثة بلغتها الأكاديمية أولت أهمية للتعريف بالنظرية وبروادها، مما غيب آراءها وتعليقاتها وحجب انتقاداتها لبعض المفاهيم خاصة في تداخلاتها، يضاف إلى ذلك هيمنة المراجع باللغة العربية رغم أن أصول النظرية غربية بتأكيد الباحثة.

وبالانتقال إلى ناقد آخر وهو المسعود قاسم في مؤلفه (جماليات التلقي: المرجعيات المعرفية والآليات الإجرائية) حيث تحدث عن ماهية التلقي ومفهوم جماليات التلقي، وكشأن غيره ممن ولجوا هذا الخضم تحدث عن الإرهاصات والأصول المعرفية والفلسفية لجماليات التلقي وكيفيات التوالد المنهجية، وقد أوضح أهمية هاته الروافد بقوله:" مما تساعد الناقد على تحديد دعائم الآليات الإجرائية التي بإمكانها أن تفي بممارسة نقدية موضوعية [21]؛ ليتحدث فيما بعد عن المفاهيم

المركزية لجماليات التلقي كالتاريخ الأدبي عند ياوس وأفق التوقع والمسافة الجمالية واندماج الآفاق ومفهوم المنعطف التاريخي، لينتقل إلى ما قال به إيزر من التفاعل بين النص والقارئ والقارئ الضمني ومواقع اللاتحديد والسجل النصي الاستراتيجيات النصية، معرجا على مستويات المعنى ووجهة النظر الجوالة، وغيرها من القضايا المرتبطة بجماليات التلقي ونظرية القراءة [22].

الملاحظ أن هذا الباحث في كتابه سالف الذكر رغم مما ميزه من منهجية أكاديمية ولغة علمية وتحليل لجزئيات النظرية إلا أن مواقفه وآراءه لم تظهر بشكل جلي واضح، يضاف إليها أن مكتبة الكتاب يطغى عليها المراجع باللغة العربية.

ثانيا: الممارسة والتطبيق:

من بين النقاد الجزائريين الذين حاولوا تطبيق الآليات الإجرائية لنظرية التلقي وجمالياتها الباحثة صباحي حميدة في مؤلفها (جماليات التلقي في شعر عبد الله العشي)، حيث حاولت رصد الجانب الفني والجمالي، وفي ذلك تقول:" وفي ظل هذا الانشغال تبقى قراءتنا لأعمال الشاعر عبد الله العشي ضمن المحاولات البسيطة لنظرية التلقي، والتي تقوم على رصد الجانب الجمالي للنص الأدبي المؤثر في جمهور القراءة"[23]؛ لتنتقل إلى ما حفلت به أعمال عبد الله العشي من قراءات، وهي قراءات مختلفة أوردتها صاحبة الكتاب لنقاد مختلفين تناولوا فيها ديوان الشاعر النموذج [24].

وحاولنا اختصارها فيما يلي:

*- القراءة الأولى: سيميائية الخطاب الشعري في ديوان " مقام البوح" للشاعر عبد الله العشي، استراتيجية العنونة، الفواتح والخواتم النصية، بلاغة المتن،

*- القراءة الثانية: تحولت إلى في شعر النموذج، ودلفت لشعرية الخطاب في ديوانه: شعرية اللغة، شعرية الصورة، شعرية الإيقاع.

*- القراءة الثالثة: تناولت فيها شعرية الإيقاع حسب ما تناولها ناصر لوحيشي في ديوان (مقام البوح) للشاعر الجزائري عبد الله العشي.

ومن بين النتائج التي توصلت إليها حميدة صباحي نورد:

1-تقوم جمالية التلقي عند هانس روبرت ياوس على دراسة تاريخ النص الأدبي، إذ تاريخ النص هو تاريخ ولادته .

2- عد إيزر فولفغانغ النص الأدبي بنية مليئة بالفجوات يقوم القارئ بملئها، فهو يمنح القارئ دورا بالغ الأهمية في بناء المعنى، كما قدم إيزر مجموعة من القراء مثل القارئ الضمني، القارئ الحقيقي.

3- أعمال عبد الله العشي تجربة نقدية شعرية في عالم الكتابة، وما يتبعها من مكابدات خلال مطاردتها لكائن مجهول هو قصيدة الحداثة [25] .

وقد يمزج الناقد حبيب مونسي بمشروعه في نظرية القراءة بين التأسيس والتطبيق والإجراء، وبين ربط المعاصر الغربي بالتراث العربي، يقول: " لقد كانت القراءة القديمة تقارب نصا يستند إلى نموذج سائد، صهرته المعايير ووجدت مقاساته وجعلته آية ثابتة المعالم مؤطرة بالعقل والمنطق، فلا يجرؤ النص على تجاوزها، بل يخلص لها في شكله ومضمونه، ولم يكن على القراءة القديمة إلا ملامسة هذا الصرح " .[26]

ثم يواصل حبيب مونسي في تقديمه للقراءة مقارنا بين سمتها القديم والحديث، حيث يرى أن القراءة الحديثة أو بالأحرى القارئ لم يعد نمطيا ونموذجيا كما كان في السابق، بل تفجرت لديه المفاهيم والمعلومات، وتغيرت في نظره الثوابت، فلم يعد يجنح أو يسلم لما هو كائن، ولم يعد يقنع بالموجود، فأصبح يبحث لنفسه عن تفسيرات أخرى محاولا تكسير قيود النمطية التي كانت مفروضة عليه سلفا، فلم تعد العلاقة بينه وبين النص علاقة قراءة سطحية، ولا هي محاولة فهم ما

يقوله النص وحسب، بل أصبحت العلاقة بينهما علاقة مساءلة واستكناه لخبايا النص، وفي الكثير من الأحيان يوجه القارئ النص وجهة أخرى، وفي ذلك يقول حبيب مونسي هي: " ليست إعادة وروتينا أو ارتكاسا جاهزا أو حتى نمطية منهجية نطبقها سلفا على الأثر".[27]

ويرى حبيب مونسي " أن العناصر الثلاثة الآتية (القارئ ، القراءة ، الكتابة) مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، حيث أن الكتابة –وهي العنصر الثالث– تحصيل حاصل للعنصرين الأولين، إذ أن القراءة والمطالعة من شأنهما شحن الأفكار وشحذ الهمم والتحفيز على الكتابة في دورة مغلقة ومتتابعة"[28]

الخاتمة:

ونخلص بعد رحلتنا مع نظرية القراءة في مظانها الغربية وفي رحلتها إلى النقد العربي القديم وصولا إلى تلقي النقد الجزائري لهذا الوافد الغربي من خلال نماذج من القراءات إلى النتائج التالية:

*– القراءة فعل فطري يمارسه الإنسان بدافع الرغبة الجامحة لديه للاطلاع والمعرفة.

*– القراءة حسب رشيد بن مالك تفاعلات ذهنية واختمارات مفاهيمية، تعتمل في ذهن القارئ، والذي يبثها تحليلا وممارسة تسهم في إعادة تشكيل النص.

*– يرى روبرت سي هولب أن الفضل في اكتمال نظرية القراءة –بشكلها الحالي– يرجع إلى خمسة تيارات فكرية كبرى هي: الشكلانية الروسية، بنيوية براغ، ظاهراتية رومان إنغاردن، تأويلية هانز جورج جادامير، سيسيولوجيا الأدب.

*– حاول ياوس أن يضع الأدب في سياق تاريخي، وذلك بالكشف عن الوعي التاريخي المتشكل باللغة، معتقدا أن الفهم لا يمكن أن يتم إلا من خلال التاريخ محاولا أن يستفيد مما قدمه غادامير.

*- أشار إيزر إلى بداية العملية التأليفية من طرف المبدع أو الكاتب، والذي يفترض أن يضع في تصوره قارئا يختبئ ضمن نسيج النص ويوجه العملية الإبداعية، ويواجه القارئ قراءتين: قراءة ذاتية للمتلقي، وقراءة مرتدة من داخل النص، كما دعا إلى فكرة تعدد القراءات وتعدد القراء.

*- أولت الباحثة غنيمة كولوقلي بعرضها المنهجي ولغتها الأكاديمية أهمية للتعريف بالنظرية وبروادها، مما غيب آراءها وتعليقاتها وحجب انتقاداتها لبعض المفاهيم خاصة في تداخلاتها، ولم يحد الباحث المسعود قاسم عن ذلك.

*- حاول حبيب مونسي التأسيس لمشروع يستقي من معين القراءات التراثية ويؤصل لنظرية القراءة في الدراسات العربية التراثية.

5.المراجع

1. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004/1425، ص722.
2. ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، د ت، ص3563.
3. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص49.
4. رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة ، د ت، ص95.
5. تزفيثان تودوروف: القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل، حسن ناظم علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص87.
6. محمد رجب : أرسطو عبقري الفكر اليوناني ، دار النشر أدبيات نبع الأدب والثقافة المعاصرة ، د ت، ص4.
7. محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجمالية التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996، ص45.
8. أرسطو: فن الشعر، تر إبراهيم حمادة، مكتبة العرب، د ت، ص99.

[9] محمد سالم سعد الله: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص55.

*- الظاهراتية: تعد الظاهراتية شكلاً جذرياً (ثورياً) من التجريبية، وتعود جذورها كنظرة وجودية للطبيعة إلى جورج بيركلي وآرائه المثالية الذاتية، والتي عمل عليها ديفيد هيوم لاحقاً.

*- هوسرل: فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات .ولد في موراويا في تشيكوسلوفاكيا في عام 1859 .

[10] روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2 ، ط1، 1993، ص576 .

[11] أمجد طلاحقة وماجد الجعافرة: المرجعيات في الأدب والنقد واللغة، د ت، ص807 .

[12] هولب روبرت سي: نظرية الاستقبال (مقدمة تقريرية)، تر رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1992، ص28.

*- الاتجاه الماركسي: ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية .

[13] الأزهر محمودي: انتقام الشنفرى لسميح القاسم في ضوء نظرية القراءة، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012/2011، ص55.

[14] ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص147 .

[15] ينظر علامات النقد ، المجلد العاشر، ص 34 .

[16] سامي اسماعيل: جماليات التلقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص111 .

[17] وولفغانغ إيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر حميد لحميداني والجيلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، المغرب، د ت، ص30 .

[18] حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص115 .

[19] نفسه، ص117 .

[20] حبيب مونسي: فعل القراءة النشأة والتحول مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، ط1، 2001، ص2 .

[21] نفسه، ص8 .

[22] نفسه، ص09 .

[23] نفسه، ص10 .

[24] نفسه، ص10 .

[25] صباحي حميدة: جماليات التلقي في شعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2020، ص151.

[26] ينظر كتاب حبيب مونسي: القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية

[27] عبد العزيز بن عرفة: الإبداع الشعري وتجربة التخوم. الدار التونسية للنشر، 1988، ص29–30.